مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أعمال الرسل ٦: ٨–١٥؛ ٧: ١–٥؛ ٧: ٤٧–٦٠)

في تلك الأيام إذ كان استفانُسَ مملوءاً إيماناً وقوَّةً كان يصنعُ عجائبَ وآياتٍ عظيمةً في الشعب* فنهضَ قومٌ منَ المجمعِ الملقَّبِ بمجمعِ اللبرتيين والقيروانيين والإسكندريين والذين من كيليكيةَ وآسيةَ يُباحثونَ استفانُس* فلم يستطيعوا أن يُقاوموا الحكمةَ والروحَ الذي كان ينطِقُ به* حينئذٍ دسُّوا رجالاً يقولونَ إنَّنا سمعناهُ ينطِقُ بكلماتِ تجديفٍ على موسى وعلى الله* وهيَّجوا الشعبَ والشيوخَ والكتبةَ معاً. فنهَضوا واختطَفوهُ وأتَوْا بهِ إلى المحفِلِ* وأقاموا شهودَ زورٍ يقولون إنَّ هذا الإنسانَ لا يفتُرُ عن أن ينطِقَ بكلماتِ تجديفٍ على هذا المكانِ المقدَّسِ والناموس* فإنَّنا سمعناهُ يقولُ إنَّ يسوعَ الناصريَّ هذا سينقُضُ هذا المكانَ ويبدِّلُ السُّنَنَ التي سلَّمها

دماء الشهداء

«إن الكلمة المساوي للآب والروح في الأزلية وفي الجوهر والرتبة، يولد الآن في بيت لحم طفلاً من البتول. فلما كرز به استفانوس أول الشهداء إلهاً ومخلِّصاً رُجم بالحجارة من ايدي القتلة مسروراً، فسار إليه مكللاً بمجد» (من سَحَر عيد القديس استفانوس).

بحسب تقليد الكنيسة الأرثوذكسية تُوضع أيقونة ميلاد الرب يسوع في حنية المذبح، على يسار الهيكل، حيث يتم تحضير الذبيحة المقدسة التي يتم نقلها لاحقاً في القداس الإلهي إلى المائدة المقدَّسة في وسط الهيكل لكي يستدعي الكاهن باسم الشعب الروح القدس لتتحوَّل القرابين المقدَّمة إلى جسد الرب ودمه الكريمين. وضع أيقونة الميلاد في هذا المكان ما هو إلاَّ انعكاس لفهم الكنيسة الواعي بأن الذي وُلد في بيت لحم هو نفسه الذي علِّق على الصليب، بل لوعي الكنيسة بأن الرب يسوع منذ لحظة ولادته كان متجهاً نحو الصليب حيث سيتم الخلاص الموعود للبشر. لذا فإن الكنيسة، وغداة عيد الميلاد، عيد بدء تحقيق الخلاص الذي كماله في الصليب، وبعد ان عيِّدت في السادس والعشرين من كانون الأول لوالدة الإله مريم، وجدت انه من اللائق أن يكون أول عيد كنسي تحتفل به هو عيد أول شهداء المسيحية، رئيس الشمامسة استفانوس الذي نقرأ قصته في الإصحاحين السادس والسابع من كتاب أعمال الرسل. فالشهداء هم على صورة المسيح الذي أحبَّ البشر حتى الموت، وكانت وصيته لتلاميذه: «أن تُحبُّوا بعضُكم بعضاً كما أحبَبتُكم. ليسَ لأحدٍ حبٌّ أعظمُ من هذا أن يضعَ أحدٌ نفسَهُ لأجلِ أحِبَّائهِ» (يو١٥: ١٢–١٣).

العدد ٢٠٠٩/٥٢
الأحد ٢٧ كانون الأول
تذكار القديسين يوسف الخطيب وداود النبي ويعقوب أخي الرب والقديس استفانوس أول الشهداء ورئيس الشمامسة، وأبينا البار ثاودورس المعترف
اللحن الرابع
إنجيل السَحَر السابع

لائق أن نعيِّد للشهداء، لأنهم دافعوا عن إيمانهم بتجسد الرب حتى الموت. أن يصير الإله الكامل إنساناً كاملاً هو بمثابة هرطقة لدى الكثير من غير المسيحيين. وقد خاضت الكنيسة الصراعات الكثيرة ضد اليهود والهراطقة وضد اتباع بعض الديانات لاحقاً، وشهود يهوه في أيامنا هذه، لأجل إثبات عقيدة

إلينا موسى* فتفرَّسَ فيهِ جميعُ الجالسينَ في المحفِلِ فرأوا وجهَهُ كأنَّهُ وجهُ ملاكٍ* فقالَ رئيسُ الكهنةِ أتُرى هذه الأمورُ هكذا* فقال أيُّها الرجالُ الإخوةُ والآباءُ اسمعوا. إنَّ إلهَ المجد تراءى لأبينا إبرهيمَ وهو في ما بينَ النهرينِ من قبلِ أن سكَنَ في حاران* وقال لهُ اخرُجْ من أرضِكَ ومن عشيرتِكَ وهلمَّ إلى الأرضِ التي أُريكَ* حينئذٍ خرجَ من أرضِ الكلدانيينَ وسكنَ في حاران. ومن هناكَ نَقلَهُ بعد وفاةِ أبيهِ إلى هذه الأرضِ التي أنتم الآنَ ساكِنون فيها* ولم يُعطِهِ فيها ميراثاً ولا موطِئَ قَدَم* ثمَّ إنَّ سُليمانَ بنى لهُ بيتاً* لكنَّ العليَّ لا يسكُنُ في هياكلَ مصنوعاتِ الأيادي كما يقولُ النبيُّ* السماءُ عرشٌ لي والأرضُ موطئُ قَدَميَّ. فأيَّ بيتٍ تَبنونَ لي يقولُ الربُّ أم أيُّ موضعٍ يكونُ لراحتي* أليست يدي هي صَنَعَتْ هذه الأشياءَ كُلَّها* يا قُساةَ الرِّقابِ وغيرَ المختونينَ بالقلوبِ والآذان. إنَّكم تقاومونَ الروحَ القُدُسَ دائماً. كما كان آباؤكم كذلك أنتم* أيُّ الأنبياءِ لم يضطهِدْهُ آباؤكم. وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيءِ الصِّدِّيقِ الذي صِرتُم أنتم

التجسُّد الإلهي وأن الرب يسوع هو إله كامل وإنسان كامل. استفانوس كان أول الذين استشهدوا بسبب بشارتهم بالرب يسوع: «ان أول شهداء المسيح، بما انه قد امتلك بالحقيقة ينبوع الروح في قلبه سرياً، فقد وبّخ وقاحة اليهود، وإذ كان هذا المجيد ممتلئاً من كمال الحكمة والنعمة، أوضح لهم ان ابن الله قد أفرع من ذرية داود، فيا أيها المثلّث الغبطة خلّص بشفاعاتك الإلهية الذين يكرمونك» (من سَحَر العيد). وقد قال الرب يسوع لتلاميذه قبل ذهابه إلى الصلب: «ليسَ عبدٌ أعظَمَ من سيِّدِهِ. إن كانوا قدِ اضطهدوني فسيضطَهِدونَكم» (يو ١٥: ٢٠).

عَظَمَة استفانوس أول الشهداء انه كان الأول في سلسلة الذين استجابوا لدعوة الرب وحملوا الصليب وأحبّوا الرب حتى الموت، فوضع منهجاً للشهداء من بعده: «لنعقد أيها المؤمنون إكليلاً جهادياً لأول المجاهدين، مُتْقَنا من أزهار نطقية، لأنه سبق فهيَّأ منهج الشهداء وهتف بفرح قائلاً، هأنذا أرى السموات مفتوحة، وابن الله قائماً عن يمين الآب غير المنظور» (من سَحَر العيد).

عَظَمَته تبرز بمماثلته السيد في محبته اللامتناهية إذ غفر لراجميه كما غفر الرب لصالبيه: «فكانوا يرجمونَ استفانوسَ وهو يدعو ويقولُ أيُّها الربُّ يسوعُ إقبَل روحي. ثم جثا على ركبتَيهِ وصرخَ بصوتٍ عظيمٍ يا ربُّ لا تُقِم لهم هذه الخطيئة. وإذ قال هذا رقَدَ» (أع ٧: ٥٩–٦٠).

إذا كان عيد الميلاد هو عيد المحبَّة، فهذه هي المحبة متجسِّدة في كلام استفانوس. «أمس أقبل السيد بالجسد إلينا، واليوم العبد بارَح الجسد، أمس وُلد الملك بالجسد، واليوم العبد يُرجم بالحجارة من أجله، وبها قضى أجله، أعني به استفانوس الإلهي أول الشهداء» (قنداق العيد).

افتتح استفانوس تاريخ الشهادة المسيحية الغني، ولكي تعلِّمنا الكنيسة ان استفانوس ليس وحده الذي أحب المسيح حبًّا عظيماً، رتبت أن نعيِّد في الثامن والعشرين من كانون الأول للقديسين العشرين ألفاً الذين أُحرقوا في مدينة نيقوميذية.

تُعيِّد الكنيسة غداة الميلاد لإستفانوس ولشهداء نيقوميذية لتقول لنا ان المسيحي الحق ومنذ لحظة ولادته بالرب يسوع، أي منذ يوم معموديته، سوف يدفع غالياً ثَمَناً لإيمانه وخاصة إذا كان يتصرَّف بحسب هذا الإيمان. قد لا يتعرَّض للقتل الجسدي، وهذا نادراً ما يحدث في أيامنا، إنما بالتأكيد سوف يتعرَّض «للقتل المعنوي»، إهانات وشتائم واستخفاف واتهامات باطلة، نميمة وغيره. وكل هذا لأجل إيمانه بيسوع.

لنفتكر في استفانوس في موسم الميلاد هذا. لسنا استفانوس، ولكننا بالتأكيد نستطيع أن نتصرَّف مثل استفانوس في وسط صخب الحياة والصراعات التي نعيشها. فالمسيحي في أي شيء يحدث معه أو أي حديث يجريه عليه أن يُبقي عينيه نحو السماء كما فعل استفانوس (أع ٧: ٥٦). ويبقى اتكاله على الرب الجالس عن يمين الآب، والرب سوف يرشده ويوصله إلى شاطئ الأمان.

الآن مُسَلِّميهِ وقاتليهِ* أنتم الذينَ أخذتُمُ الناموسَ بترتيبِ الملائكةِ ولم تحفظوهُ* فلمَّا سمِعوا ذلك تمزَّقوا في قلوبهم وصَرفوا عليه بأسنانِهم* وهو إذ كان ممتلِئاً من الروح القدس تفرَّسَ في السماءِ فرأى مجدَ اللهِ ويسوعَ قائماً عن يمينِ الله. فقالَ هاءنذا أرى السمواتِ مفتوحةً وابنَ البشرِ قائماً عن يمين اللهِ* فصرَخوا بصوتٍ عظيمٍ وسدُّوا آذانَهم وهجموا عليهِ بعزمٍ واحدٍ* وأخرجوهُ خارجَ المدينةِ وجعَلوا يرجُمونَهُ. ووضعَ الشهودُ ثيابَهم لدى قدَمَي شابٍّ اسمهُ شاول* وجعلوا يرجُمونَ استِفانُسَ وهو يدعو ويقولُ أيُّها الربُّ يسوعُ المسيح إقبل روحي* ثمَّ جثا على رُكبَتَيْهِ وصرَخَ بِصوتٍ عظيمٍ يا ربُّ لا تُقِمْ عليهم هذه الخطيئة ولمَّا قال هذا رقَدَ.

الإنجيل

(متى ٢: ١٣–٢٣)

لمَّا انصرفَ المجوسُ إذا بملاكِ الربِّ ظهرَ ليوسفَ في الحُلمِ قائلاً قُمْ فَخُذ الصبيَّ وأمَّهُ واهرب إلى مصرَ وكُن هناكَ حتى أقول لك* فإنَّ هيرودسَ مُزمعٌ أن يطلبَ الصبيَّ ليهلِكَهُ* فقامَ وأخذ الصبيَّ وأمَّهُ ليلاً وانصرفَ إلى

الزمن والكنيسة

«يا مبدع الخليقة بأسرها يا مَن وضعتَ الأوقات والأزمنة بذاتَ سلطانك، بارك إكليل السنة بصلاحك يا رب، واحفظ بالسلامة عبيدك المؤمنين ومدينتك، بشفاعات والدة الإله، وخلّصنا» (طروبارية رأس السنة الكنسيَّة).

يستعد الناس في هذه الأيام لوداع هذه السنة ولاستقبال سنة جديدة آملين أن تحمل معها الفرح والنجاح والإستقرار. يوم رأس السنة يعتبره الناس تاريخاً مهماً في روزنامة حياتهم لأنه يُعتبر نهاية مرحلة زمنية معينة وبداية مرحلة جديدة، لذلك كل شخص يحاول أن يعيّد هذا العيد على منوال يتناسب مع طريقة عيشه وإمكاناته ونظرته الخاصة لهذه الأمور. نحن أيضاً في الكنيسة نولي الزمن أهمية قصوى. فعندما ينظر المرء بعين ه الروحية يدرك ان حضور الإنسان في الزمن، الذي باركه الرب بحضوره، هو أمر مهم، لا بل هو من الأمور الأساسية التي انشغل بها آباء الكنيسة والذي شكّل عنصراً رئيسياً في حياتهم وجهاداتهم وفي كل مسيرتهم.

منذ نشأتها أعطت الكنيسة أهمية كبيرة للزمن لأنها تعي ان الزمن قد أُعطي للإنسان بهدف محدد هو تألّه الإنسان بالنعمة، لذلك يكتسب الزمن معناه وقيمته عندما يخدم هذا الهدف أي خلاص الإنسان وتألّهه وعلاقته بالله. حين يدرك الإنسان هذا الهدف يتعامل مع كل ما يُنسب إلى الزمن، أكان سنةً أو يوماً أو دقيقةً أو حتى ثانيةً، على انه مجال للجهاد حتى يصبح فرصةً للإفادة الروحية.

إحدى مميزات القديسين ما يُسمَّى بالإحساس بالزمن. يستغرب مَن يقرأ سِيَر القديسين كيف ان النساك الذين لم تكن لديهم أعمال أو واجبات أو مسؤوليات دنيوية، إلا أنهم كانوا يقدّرون كل ثانية من الزمن وينتبهون لئلا يضيّعوا وقتاً رغم كل الوقت الذي كانوا يملكونه بما انهم كانوا عائشين وحدهم في الصحراء والبراري. ان القديسين لم يحسبوا حياتهم بالسنوات والأشهر والأسابيع والدقائق، بل بالثواني، وكل ثانية كان لها بالنسبة لهم معنى وسبب. هذا التقدير للزمن أعطى القديسين معنى لحياتهم ولجهاداتهم، وقد حافظوا عليه في كل مراحل حياتهم، حتى في شيخوختهم، إلى يوم انتقالهم من هذه الحياة. يُحكى عن الشيخ بابيسيوس الآثوسي الذي عاش في القرن العشرين، انه في آخر يوم من حياته فقط لم يتمم قانونه (أي صلاته الفردية اليومية التي يحدِّدها الأب الروحي للمؤمن)، فقال: «اليوم بما اني لم أعد أستطيع، يجب أن أرحل من هذا العالم». لقد اعتبر الشيخ بابيسيوس انه إذا لم يعد يستطيع أن يستخدم الوقت المُعطى له للجهاد الروحي، فالأفضل له أن ينتهي زمان حياته على الأرض، وقد تحقق فعلاً انتقاله إلى السماء في اليوم التالي.

الكنيسة هي المكان الذي تتقدّس فيه كل لحظات حياة الإنسان، هذا ما نراه كل يوم في الحياة الكنسيَّة. لنأخذ على سبيل المثال صلاة الغروب التي هي صلاة نشكر فيها الله على اليوم الذي أعطانا إياه

مصرَ* وكان هناك إلى وفاةِ هيرودس ليتمَّ المقولُ من الربّ بالنبيّ القائل: «من مصرَ دَعَوتُ ابني»* حينئذٍ لمَّا رأى هيرودسُ أنَّ المجوسَ سخروا بهِ غضب جدًّا وأرسلَ فقتلَ كلَّ صبيانِ بيتَ لحمَ وجميعِ تخومها من ابنِ سنتين فما دونَ على حسب الزمان الذي تحقَّقهُ من المجوس* حينئذٍ تمَّ ما قالهُ إرمياءُ النبي القائل: «صوتٌ سُمعَ في الرامةِ نوحٌ وبكاءٌ وعويلٌ كثيرٌ. راحيل تبكي على أولادها وقد أبَتْ أن تتعزّى لأنَّهم ليسوا بموجودين»* فلمَّا مات هيرودسُ إذا بملاكِ الربِّ ظهرَ ليوسفَ في الحُلمِ في مصرَ قائلاً: قُمْ فخُذِ الصبيَّ وأمَّهُ واذهبْ إلى أرضِ إسرائيلَ فقد ماتَ طالبو نفسِ الصبيّ* فقام وأخذ الصبيَّ وأمَّهُ وجاءَ إلى أرضِ إسرائيل* ولمَّا سمع أنَّ أرْشيلاوسَ قد مَلَكَ على اليهوديةِ مكانَ هيرودسَ أبيهِ خاف أن يذهبَ إلى هناك وأُوحيَ إليهِ في الحلمِ فانصرفَ إلى نواحي الجليل* وأتى وسكنَ في مدينةٍ تُدعى ناصرة ليتمَّ المقولُ بالأنبياء إنَّهُ يُدعى ناصريًّا.

ونعترف بعظائمه. فنحن لا نحزن على انتهاء يوم من حياتنا ومن وجودنا، لكننا نشكر الله ونمجده لأننا نبدأ يوماً جديداً. مع صلاة الغروب لا ينتهي فقط يوم من حياتنا بل يبدأ يوم جديد أيضاً. هذا يذكرنا بكلام الرب يسوع: «أنا هو الألِفُ والياءُ، البِدايةُ والنهايةُ» (رؤ ١: ٨). في الوقت الذي تنتهي فيه الأمور تبدأ كلها من جديد وعندما تبدأ الأمور فإنها تسير من جديد نحو النهاية، وبداية كل شيء ونهايته هو السيد المسيح نفسه.

نحن الآن موجودون في وقت محدد في الزمن ونتّجه نحو سنة جديدة وزمن جديد، ونترك خلفنا سنة أخرى وزمناً آخر. يستطيع المرء أن يسأل كيف وصلت البشرية إلى هذا الوقت الحاضر فينظر إلى مسيرة الإنسان ويجد فيها: أحزاناً، حوادث، حروباً، فشلاً، نجاحاً، أفراحاً، وأعياداً، كل هذه الأمور التي كانت في الماضي وستحدث في المستقبل آيلة إلى الزوال. في مقابل الماضي الذي عَبَر وانتهى لدينا المستقبل الذي هو غير أكيد والذي نستطيع أن نتبصر ما قد يحدث فيه دون أن نتأكّد منه. تالياً لا يبقى لنا سوى الحاضر الذي نعيشه الآن دون أن نملكه بالكلية، ماذا تفعل الكنيسة في الزمن الحاضر؟ الكنيسة تقف بين الماضي والمستقبل، تشكر الله على الماضي، تمجد خيريته وصلاحه وحضوره، وتنظر إلى المستقبل على انه يتأتى من يد الرب لأنها تعلم ان من يجعل كل شيء موجوداً هو الله. نحن نرتل في وقت الغروب الذي هو بداية مرحلة الظلام ترتيلة «يا نوراً بهياً» لنقول ان المسيح هو النور البهي في ظلام هذا العالم. بهذه الطريقة تعزينا الكنيسة، وعندما نكمل ونقول: «لقدس مجد الآب الذي لا يموت» نكون على يقين ان إلهنا الذي لا يموت سيمنحنا الحياة الأبدية لأنه غلب الموت.

في الكنيسة يتعلّم المؤمن أن يُلقي كل مشاكله والصعوبات التي تتعبه عند قدمي يسوع الذي يجعل حاضرنا يتجلّى بنوره. ان كنيستنا تتقبّل الماضي شاكرة الله وتقدّس المستقبل سائلةً حضور الله فيه، أما الحاضر فتعيشه على ضوء تعاليم المسيح معزية الناس بحضور الرب الذي قال: «ها أنا معكم كلَّ الأيَّامِ إلى انقضاءِ الدَّهرِ، آمين» (متى ٢٨: ٢٠).

ذكرى ختانة الرب

بمناسبة ذكرى ختانة الرب يسوع وعيد القديس باسيليوس الكبير ورأس السنة يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الجمعة الأول من كانون الثاني ٢٠١٠ في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة. ويستقبل سيادته المهنئين يومي الجمعة ١ كانون الثاني والسبت ٢ كانون الثاني من الساعة ٤ ب.ظ. حتى الساعة ٧ مساء.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb